

شرح العقيدة الطحاوية

الدرس الثامن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد ...

فمعنا اليوم درس جديد من دروس شرح العقيدة الطحاوية؛ وهو الدرس الثامن.

وصلنا عند قول المؤلف: **(وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِتَقْدِيرِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذٌ، لَا مَشِيئَةٌ لِلْعِبَادِ؛ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ، فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضْلاً، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَخْذِلُ وَيَبْتَلِي عَذَاباً)**

هذه الفقرة أيضاً من مسائل القدر، يقول المؤلف هنا: **(وَكُلُّ شَيْءٍ)** هذا عموم؛ **(وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِتَقْدِيرِهِ وَمَشِيئَتِهِ)** كل شيء يحصل في هذا الكون هو بتقدير الله ومشِيئته، بتقديره هو سبحانه وتعالى؛ عِلْمُهُ، وَشَاءُهُ، وَهُوَ كَتَبَهُ، وَخَلَقَهُ، وَكُلُّ مَا يَجْرِي فِي هَذَا الْكَوْنِ دَاخِلٌ تَحْتَ مَشِيئَتِهِ؛ شَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَمِنْ ذَلِكَ أَفْعَالُ الْعِبَادِ؛ شَاءَ مَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَذَلِكَ كَانَتْ.

قوله: **(وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذٌ، لَا مَشِيئَةٌ لِلْعِبَادِ؛ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ)** يقرر المؤلف هنا أن الله سبحانه وتعالى مشيئة - يشاء الأشياء؛ وهذه من مراتب القدر الأساسية؛ الإيمان بأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لا بُدَّ من الإيمان بهذا - وستأتي الأدلة التي تدل على ذلك.

(وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذٌ): مشيئة الله هي التي تحصل، (لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم)؛ العباد لهم مشيئة لكن مشيئتهم مرتبطة بمشيئة الله، ولا تكون إلا بعد أن يشاء الله سبحانه وتعالى؛ فهي تابعة لمشيئة الله سبحانه وتعالى، وليست غالبية لها، ولا تكون مستقلة كما يقوله أهل

الباطل؛ {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: ٢٩]؛ هكذا قال الله سبحانه وتعالى في كتابه.

قال: (وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ لَا مَشِيئَةً لِلْعِبَادِ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ) لا يمكن للعبد أن يشاء شيئاً، والله سبحانه وتعالى يشاء شيئاً آخر، ومشیئة العبد هي التي تمضي؛ هذا باطل لا يمكن أن يحصل؛ بل مشیئة الله هي النافذة.

نعم للعبد مشیئة؛ لكن مشیئته لا يمكن أن تخرج عن مشیئة الله سبحانه وتعالى.

قوله: (فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ) هكذا يعتقد أهل السنة والجماعة في مسألة المشیئة: أن الله سبحانه وتعالى له مشیئة والعبد له مشیئة، ولكن مشیئة العبد مرتبطة بمشیئة الله سبحانه وتعالى لا تغلبها؛ بل مشیئة الله سبحانه وتعالى هي الغالبة وهي النافذة؛ فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

يعني: لا يمكن أن تقول لي: العبد يريد أن يكفر والله يريد له الإيمان فتحصل مشیئة العبد؛ ولا تحصل مشیئة الله؛ هذا باطل، نعم العبد له مشیئة ويختار؛ لكنها تابعة لمشيئة الله سبحانه وتعالى.

قوله: (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) أي: الله سبحانه وتعالى يهدي من يشاء من عباده؛ يهديه الصراط المستقيم؛ يوفقه للإيمان ويوفقه لعمل الخير.

قوله: (وَيَعْصِمُ): يَعْصِمُ مِنَ الْخَطَا، يَعْصِمُ مِنَ الزَّلَلِ، يَعْصِمُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْحَرَامِ، يَعْصِمُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْكُفْرِ، وَمِنَ الْوُقُوعِ فِي الذُّنُوبِ.

قوله: (وَيُعَافِي فَضْلاً) يُعَافِي مِنَ الْبَلَايَا فَضْلاً مِنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فيجعل هذا مؤمناً مطيعاً؛ يَعْصِمُهُ مِنَ الْكِبَائِرِ، وَيَعْصِمُهُ مِنَ الْمَعَاصِي الَّتِي يَشَاءُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَمَنْ يَشَاءُ مِنْ

عباده؛ فَضْلاً منه؛ يتفضل به على العباد، ليس هو حقاً لهم؛ بل هو فَضْلٌ من الله سبحانه وتعالى؛ يتفضل به على من يشاء من عباده.

قوله: **(وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ)** وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ من عباده، **(ويُضِلُّ)** يعني يترك هدايته، **(ويبتلي)**؛ يبتليه تبارك وتعالى بما شاء من الابتلاءات؛ **(عدلاً)**؛ وهذا يكون عدلاً من الله سبحانه وتعالى.

فيهدي المؤمن للإيمان، وَيُضِلُّ الكافر، وَيَكْفُرُ الكافر بمشيئة الله سبحانه وتعالى؛ هدى المؤمن فضلاً منه وتكثيراً، وهذا الفضل يَمُنُّ به على من يشاء من عباده؛ لأنه إكرام منه تبارك وتعالى، وأما ذاك- وهو إضلال الكافر- فكان عدلاً منه؛ لا يَظْلُمُ ربُّك تبارك وتعالى أحداً؛ هذا المعنى الذي ذكره المؤلف رحمه الله.

فهو هنا يُثبت عموم مشيئة الله سبحانه وتعالى، وأنها شاملة لكل شيء، ولا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم، فالعباد لهم مشيئة، ولهم أفعال وأفعالهم على نوعين:

أفعال اختيارية يفعلها الإنسان باختياره؛ فيؤمن ويكفر ويذهب ويحيي؛ كل هذا يفعله باختياره.

وأفعال ليست اختيارية؛ تحصل منه دون اختيار كحركات النائم مثلاً؛ هذه تحصل بلا إرادة؛ أما الأولى فتحصل بمشيئة.

وكما ذكرنا مشيئة العباد مُقيدة بمشيئة الله تبارك وتعالى كما قال سبحانه وتعالى: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: ٢٨-٢٩]، أثبت الله سبحانه وتعالى لهم مشيئة، وأثبت أنها تابعة ومُقيّدة بمشيئة الله سبحانه وتعالى.

وقوله: **(يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُعْصِمُ فُضْلاً)** هذا أدلته في القرآن والسنة كثيرة منها: قوله تعالى: {فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ} [البروج: ١٦]، وقال: {يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}

[فاطر: ٨]، وقال سبحانه وتعالى: {مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الأنعام: ٣٩]، وقال سبحانه وتعالى أيضاً: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأنعام: ١٢٥].

فيهدي الله سبحانه وتعالى من يشاء، وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضْلاً، وَيُوفِقُ من يشاء للخير والأعمال الصالحة، وَيَعْصِمُ من الوقوع في الزلات والسيئات، وَيُعَافِي من يشاء؛ وكل هذا كما ذكرنا فضلاً من الله سبحانه وتعالى، كما قال الله: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [الحجرات: ٧-٨]، وكذلك قال الله سبحانه وتعالى: {وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ} [إبراهيم: ١١]؛ فهو يهدي من يشاء بفضله وحكمته؛ فيضع تبارك وتعالى فضله هذا في موضعه المناسب بحكمته تبارك وتعالى، وَيُضِلُّ من يشاء كما قال الله تبارك وتعالى: {فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [فاطر: ٨].

ولا بُدَّ هنا من أن نعلم أن الهداية- هداية الله سبحانه وتعالى- نوعان:

الأولى: هداية عامة للمؤمن والكافر؛ وهي هداية الدلالة والبيان والإرشاد كما في قوله تبارك وتعالى: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} [البلد: ١٠]، وقوله: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ} [فصلت: ١٧]؛ هذه هداية بيان.

والثانية: هداية توفيق؛ يُوفِقُ الله سبحانه وتعالى من يشاء من عباده لقبول الحق، وهذه كما تَقَدَّمتُ {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ}.

هاتان هدايتان بهذين المعنيين، وقد ذكر أهل العلم في التفسير هاتين الهدايتين.

وقال بعضهم الهداية المذكورة في القرآن أربعة:

الأولى: هداية عامة للإنس والجن والحيوانات، كقوله تبارك وتعالى: {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى} [طه: ٥٠].

الثانية: هداية إلى طريق الجنة وطريق النار كقوله تبارك وتعالى: {اخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ} [الصفات: ٢٢-٢٣]؛ هاتان هدايتان لا إشكال فيهما.

الهداية الثالثة: هي التي ذكرنا؛ هداية البيان؛ وهذه أيضاً لا إشكال فيها.
الهداية الرابعة: هي هداية التوفيق؛ كذلك هي التي ذكرنا.

وهذه الهداية هي التي أنكرها المعتزلة والقدرية- هنا انتبهوا! - لماذا ذكر المؤلف هذا الفصل؟ هنا الإشكال في هداية التوفيق؛ هذه الهداية هي التي أنكرها المعتزلة والقدرية، وعند مرورها في القرآن وآيات الكتاب يَرُدُّونها إلى هداية البيان، ويُفسرون الأدلة التي وردت فيها بهداية البيان.

في سورة الفاتحة لو تنظرون كلام الطبري وغيره من المفسرين؛ تجدونهم يَرُدُّون على الذين يُفسرون هذه الهداية بهذا المعنى، فيثبت أهل السنة هداية التوفيق؛ لأن الله سبحانه وتعالى يُوفِّق من يشاء للإيمان ويَحْذِل من يشاء؛ فهنا لا بُد من الانتباه لهذا الأمر.

وعلى ماذا بنوا أصلهم هذا؟ ولماذا يُنكر المعتزلة والقدرية هداية التوفيق؟

عندهم إشكال في الأمر!

الأمر كله عندهم عائد إلى مسألة الظلم، يقولون: الله سبحانه وتعالى إذا هدى المؤمن إلى الإيمان وَحَذَلَ الكافر وَأَضَلَّهُ؛ هنا يكون قد ظَلَمَ الكافر هذا؛ إذ إنه هدى هذا ولم يهد هذا؛ فمنعه مما يستحقه؛ لذلك يقول العلماء: الهداية هي فضل من الله سبحانه وتعالى؛ يَمُنُّ بها على من يشاء، فإذا مَنَعَهَا من شخص؛ ما مَنَعَهُ حقاً له؛ هو منعه فضلاً يَتَفَضَّلُ به على من يشاء.

مثال- والله المثل الأعلى:- معك رغيف خبز، وأنت مار في الطريق، مرّ بك رجلين لا حقّ لهما عندك؛ فأعطيت أحدهما ربع الرغيف، وأعطيت الآخر ثلاثة أرباع الرغيف، أو أعطيت أحدهما الرغيف ولم تعط الآخر؛ هل ظلمت أحدا منهما؟

لا؛ لأنه لا حقّ لهما عندك أصلاً، لا يوجد حقوق؛ هذا الذي فعلته أنت كرم وتفضّل منك عليهما، تُعطي ما تشاء وتمنع ما تشاء، والله المثل الأعلى.

وكذلك مسألة هداية التوفيق هذه؛ هذه فضل من الله سبحانه وتعالى يَتَفَضَّلُ به على من يشاء من عباده، فيَتَفَضَّلُ على هذا، ويَمْنَعُ هذا، لكن الله سبحانه وتعالى لا يفعل ذلك عشوائياً؛ بل يفعله لحكمة؛ لأن هذا يَسْتَحِقُّ الهداية فهدها، وهذا لا يَسْتَحِقُّ الهداية فحَذَلَهُ وَأَضَلَّهُ.

هذا معنى هداية التوفيق، لكن هذا الأمر ما تصوّره المعتزلة والقدرية؛ ما الذي تصوره؟ جعلوا الظُّلم الذي نَزَّه الله سبحانه وتعالى نفسه عنه؛ كالظلم عند البشر، فشَبَّهوا الله سبحانه وتعالى في هذا بالبشر، فأرادوا أن يَفْرُوا منه؛ فوقعوا في هذا.

ما هو الظُّلم عند المعتزلة والقدرية؟

الظُّلم عند المعتزلة والقدرية- أي: في حق الله لو فعله- مثل الظُّلم عند الإنسان؛ يُشَبِّهون الله بخلقه؛ نفس الظُّلم بين الناس؛ فالظلم عندهم: إضرارٌ غير مستحق، أو عقوبة العبد على ما ليس منه... إلخ.

والظُّلم عند الأشاعرة: هو التَّصَرُّف في غير ما يَمْلِك؛ يقولون: التَّصَرُّف في غير ما يَمْلِك؛ هذا ظُّلم، فيقولون بناء على ذلك: يجوز لله أن يفعل ما يشاء، هؤلاء أيضاً أرادوا أن يَفْرُوا من الظُّلم؛ فغيّروا معناه؛ قالوا: إذا كان الظُّلم هو التَّصَرُّف في ملك الغير- لأن هؤلاء الأشاعرة ليسوا من القدرية الذين ينفون هداية التوفيق-، فأرادوا أن يَفْرُوا من مسألة الظُّلم؛ فقالوا:

الظُّلم هو التَّصَرُّف في ملك الغير، والله سبحانه وتعالى لا يوجد شيء ليس ملكاً له؛ كل شيء مُلك له؛ إذن فلا يقع منه ظلم مطلقاً، فبأيِّ تصرُّفٍ تصرف؛ فهو متصرف فيما يملك؛ فلا يمكن أن يقع منه ظلم.

إذن بناء على ذلك ماذا يكون الظُّلم؟ يكون مُمتنعاً في حقِّ الله لا يُمكن أن يحصل؛ لأنه تصرُّف في ملك الغير، وملك الغير لا يوجد؛ إذن لا يوجد ظُلم أصلاً هذا قولهم؛ فصار الظُّلم عندهم مُمتنعاً.

وبناء على هذا حتى لو أثاب الله شخصاً بعمل غيره، أو عَذَّب آخر بعمل الأول؛ لا يكون ظالماً له.

وعندهم معنى ثان للظُّلم؛ وهو فعل ما نُهي المرء عنه، فقط هذا هو الظُّلم، والله سبحانه وتعالى لا ناهي له؛ إذن لا يوجد ظُلم، إذن الظُّلم عندهم مُمتنع عن الله، أي: ليس الأمر أن الله سبحانه وتعالى قادر على الظُّلم؛ ولكنه لا يَظْلِم، وفرق بين الأمرين؛ صار الظُّلم عندهم مُستحيلاً؛ غير داخل تحت القدرة؛ لأن جميع المخلوقات ملكه ولا يأمره ولا ينهيه أحد، إذن لا يوجد ظُلم نهائياً في حقه، يمنع نفسه منه.

وبناء على ذلك لا يوجد صفة كمال في نفي الظُّلم عن الله؛ لأن عندهم أن الله سبحانه وتعالى مستحيل الظلم منه أصلاً- غير موجود-؛ فلا يوجد صفة كمال في الموضوع.

أما عند أهل السنة والجماعة؛ فالظُّلم هو وضع الشيء في غير مَوْضِعِهِ- هذا تعريف الظُّلم؛ فاحفظوه-، وهل الله سبحانه وتعالى قادر أن يَضَعَ الشيء في غير مَوْضِعِهِ؟ نعم قادر.

إذن هل الظُّلم ممكن أم غير مُمكن؟ نعم مُمكن؛ من حيث القدرة عليه.

لكن هل يفعلُه الله سبحانه وتعالى؟ لا؛ لأنه نقص لا يفعله الله سبحانه وتعالى، وقد حَرَّمَ الله سبحانه وتعالى الظُّلم على نفسه.

إذن هو مَقْدور لله لكن الله نَزَّهَ نفسه عنه وحرَّمَه على نفسه، ها هنا تكون صفة كمال؛ الله سبحانه وتعالى تَنَزَّهَ عن النقص المَقْدور له، هذا فيه وصف لله بالكمال عند أهل السنة والجماعة.

هذه مسألة الظُّلم، وهي أساس المشكلة عند المعتزلة والقدرية.

وحتى تفهم موضوع القدر: أساس المشكلة عند المعتزلة والقدرية هو موضوع الظُّلم، والأشاعرة والجبورية أرادوا أن يَرُدُّوا عليهم؛ فأفسدوا من ناحية ثانية؛ فعَرَّفوا الظُّلم تعريفاً باطلاً، وبنوا عليه أيضاً معنى باطلاً كما تقدَّم.

لَمَّا عَرَّفَ الْمُعْتَزَلَةُ والقدرية- الذين كلامنا الآن عنهم؛ لأنهم هم الذين نَقَّوْا هداية التوفيق؛- لَمَّا عَرَّفوا الظُّلم بهذا التعريف ماذا بنوا على ذلك؟

لَمَّا صار الظُّلم عندهم بهذا المعنى نَقَّوْا هداية التوفيق.

لماذا؟ لأنهم قالوا: إذا هَدَى هذا وَأَضَلَّ هذا؛ فقد ظَلَمَ الذي أَضَلَّه؛ فكيف يُعَذِّبُه بعد ذلك على شيء فعله فيه؟ هذه شُبُهَتُهُمْ.

إذن قالوا: بما أنه خلق العباد؛ فيجب عليه أن يفعل لهم الأَصْلَحَ، يجب عليه- لاحظ! - أن يفعل الأَصْلَحَ لهم، فلا يُمكن له أن يهدي أحداً وَيُضِلَّ أحداً؛ هذا ظُلم؛ فلا يكون قد فعل الواجب الذي عليه؛ فيكون ظالماً، ولا يجوز الظُّلم عليه.

فإذا قلنا: هداية التوفيق بيده.

وقلنا: يجب عليه أن يفعل الأَصْلَحَ، ويعطي العباد ما يستحقون من الهداية؛ ولم يفعل، ثم يعذبهم؛ فقد ظلمهم.

ولذلك نقول: هداية التوفيق ليست بيده؛ بل العبد هو الذي يؤمن ويكفر ويطيع ويعصي بمشيئته المستقلة.

هذا معنى قولهم.

وبناء على هذا- انظر كيف تنبني الأشياء على بعضها- إذن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم من هداية وضلال وغير ذلك، والله سبحانه وتعالى لا علاقة له بأفعال العباد أبداً، هم يخلقون أفعالهم استقلالاً.

انظر إلى أين وصلوا! أثبتوا خالقاً مع الله سبحانه وتعالى.

لوازم قول المعتزلة والقدرية هذه ثلاث:

أولاً: أن مشيئة العبد تغلب مشيئة الله؛ وهذا مخالف لصريح الآية: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: ٢٩].

ثانياً: يقع في ملك الله ما لا يُريده، إذ إن العبد له إرادة مُستقلة، وله مشيئة مُستقلة، يفعل بنفسه ما يُريد حتى وإن لم يُرده الله سبحانه وتعالى.

ثالثاً: إثبات خالق مع الله، إثبات أكثر من خالق مع الله؛ فعندهم العباد كلهم يخلقون أفعالهم؛ إذن أثبتوا خالقاً مع الله وأشركوا.

هذه الثلاثة لوازم أقوال المعتزلة والقدرية؛ وهذا كله باطل، فبالأدلة التي ذكرنا؛ تُبين بطلان هذا.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **(وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِهِ، بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ)**

انظر كيف يؤكد المؤلف هنا، قال الله سبحانه وتعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ} [التغابن: ٢] فمن هداه الله إلى الإيمان بفضله، ومن أضله فبعده؛ لأن الله سبحانه وتعالى يفعل بحكمة، هذا الذي هداه؛ هداه لأنه يعلم أنه يستحق الهداية، وهذا الذي أضله؛ أضله لأنه يعلم أنه لا يستحق الهداية؛ فأضله الله سبحانه وتعالى، فالله حكيم يضع الأشياء في موضعها؛ فلما هدى المهتدي وفقه للإيمان، هذا يستحق أن يكون مهتدياً؛ فلذلك هداه،

وهذا يَسْتَحِقُّ أَنْ لَا يَكُونَ مُهْتَدِيًّا؛ لِذَلِكَ أَضَلَّهُ؛ فَيُضَعُّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الشَّيْءُ فِي مَوْضِعِهِ؛
وهذا عدل وليس ظُلماً.

قال: **(وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الْأَضْدَادِ وَالْأُنْدَادِ)**

الضِّد: المُخَالِف، والتَّيْد: المثل.

فهو سبحانه لَا مُعَارِضَ لَهُ؛ فَمَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.
قالوا: هُنَا يُشِيرُ الْمُؤَلِّفُ فِي نَفْيِهِ لِلضِّدِّ وَالتَّيْدِ إِلَى الرَّدِّ عَلَى الْمُعْتَزَلَةِ؛ فَفِي زَعْمِهِمْ أَنَّ الْعَبْدَ يَخْلُقُ
فِعْلَهُ، لِأَنَّهُمْ جَعَلُوهُ نَدَاءً لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي هَذَا، وَضِدًّا؛ يَعْنِي مُخَالِفًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،
فَاللَّهُ يُرِيدُ - مِثْلًا - الْإِيمَانَ مِنَ الْعَبْدِ وَالْعَبْدَ يُرِيدُ الْكُفْرَ؛ فَتَنْفِذُ إِرَادَةِ الْعَبْدِ عِنْدَهُمْ.

قال: **(لَا رَادٌّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقَّبٌ لِحُكْمِهِ، وَلَا غَالِبٌ لِأَمْرِهِ)**

قوله: **(لَا رَادٌّ لِقَضَائِهِ)** مَا أَرَادَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَكُونُ أَبَدًا؛ لَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخَالَفَ أَمْرَ
اللَّهِ.

قوله: **(وَلَا مُعَقَّبٌ لِحُكْمِهِ)** أَيُّ: لَا أَحَدٌ يُؤَخِّرُ حُكْمَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، إِذَا أَرَادَهُ؛ حَصَلَ.

قال: **(وَلَا غَالِبٌ لِأَمْرِهِ)** أَمْرُهُ هُوَ الْغَالِبُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لَا يَوْجِدُ أَمْرَ لِأَحَدٍ يَغْلِبُ أَمْرَ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهَذَا كُلُّهُ نَقْضُ الْمُعْتَزَلَةِ وَالْقَدْرِيَّةِ؛ فَردُّوا قَضَاءَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِجَعْلِ الْعَبْدِ
يَخْلُقُ فِعْلَهُ - خَالِقًا مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وَمَشِيئَتُهُ هِيَ الَّتِي تَمْضِي، وَقَضَائِهِ هُوَ الَّذِي يَرُدُّ
قَضَاءَ اللَّهِ تَعَالَى، وَيُؤَخِّرُ حُكْمَ اللَّهِ، وَيَغْلِبُ أَمْرَ اللَّهِ؛ كُلُّ هَذَا جَعَلُوهُ فِي كَلَامِهِمْ هَذَا الَّذِي
ذَكَرُوهُ.

قال رحمه الله: **(أَمَّا بِذَلِكَ كُلُّهُ، وَأَيُّقُنَّا أَنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِهِ)**

أَمَّا بِكُلِّ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ؛ فِي مَسَائِلِ الْإِيمَانِ وَالْقَدَرِ وَغَيْرِهِ مِمَّا قَرَّرْنَاهُ مِنَ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ.

قوله: (وَأَيُّهَا أَنْ كُلًّا مِنْ عِنْدِهِ) أي: كل كائن مُحدَث من عند الله سبحانه وتعالى، فكل الكائنات مخلوقة لله سبحانه وتعالى؛ فهي كائنة بقضاء الله وقدره ومشيتته سبحانه وتعالى. والله أعلم.

ونكتفي اليوم بهذا القدر، ومسائل القدر طبعاً ستأتي إن شاء الله، لكن هذه الآن هي أصل المشكلة بيننا وبين القدرية والجبرية؛ مسألة الظلم، مع الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى يُوفِّق من يشاء ويهدي من يشاء ويُضِل من يشاء؛ صار عندهم مشكلة في هذا؛ إذ كيف يهدي الله سبحانه وتعالى من يشاء ويُضِل من يشاء، ثم بعد ذلك الذي يُضِلُّه يُعَذِّبُه؛ مُشْكِلَةٌ، قالوا: هذا ظلم، وبعد ذلك فسروا الظلم بأنه مثل ظلم العباد بعضهم بين بعض، ثم بعد ذلك بدأوا في التحريف كما ذكرنا. والله أعلم.